

تاريخ الحركة الوطنية في تونس بين الحاكم والمناضل والجامعي

عميرة عليّة الصغير
المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية
(تونس)

تطرح هذه المحاولة مجموعة من التساؤلات المنهجية تخصّ المنتوج التاريخي في تونس الذي موضوعه الحركة الوطنية التونسية. وككلّ مبحث في علاقة مع المحاضر كان هذا الضرب من التاريخ ولا زال مجالاً للرهانات السياسيّة والصراعات بما أنه يمثل القاعدة التي انبنت عليها مشروعيّة النظام القائم بتونس منذ الاستقلال على مستوياته الاجتماعيّة والسياسية والثقافية. وهو كذلك مرجع القوى الأخرى التي هي خارج النّسق حيث تجد فيه مبررات تموقعها التاريخي ومشروعية معارضتها هذا حتى وإن خفّت منذ تحول 1987 حدة الاستنجد بالماضي.

ويمكن تصنيف هيستوريغرافيا الحركة الوطنية التونسية حسب منتجي المادة التاريخية إلى ثلاثة أصناف :

- التاريخ الرسمي.
- تاريخ المناضلين.
- التاريخ الأكاديمي.

ونحاول في هذا العرض التفصيل في كل صنف من الأصناف الثلاثة من خلال نماذج من المادة التاريخية المنتجة ودراسة خلفياتها الإيديولوجية والسياسية ومناهج وضعها.

I. الحركة الوطنية في التاريخ الرسمي (القريب)

يجب التنويه أولاً أنه منذ تحوّل 1987 وزوال حكم بورقية تراجعت حدة الإحالة على الماضي وخف وزن الضغط الذي كان يمارسه الخطاب السياسي الرسمي المفاخر بأمجاد الحركة الوطنية، لأن النظام الجديد حتى وإن أعلن وفاءه لتاريخ المقاومة الوطنية فهو يركّز على مشروعية أخرى جديدة (إعلان السابع من نوفمبر، حقوق الإنسان، التنمية المستدامة...) لذا تغيّرت كيفية التعامل مع الماضي وأرخي العنان نسبياً لاقتحام مسائل كانت من المحرّمات تحت حكم بورقية، وسمح بحريّات أوسع للبحث في الماضي الوطني وتمّ أساساً لهذا الغرض بعث المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية سنة 1989. وسنعود لاحقاً لإسهامات هذه المؤسسة الجامعية. لكن رغم تلك الإرادة التصحيحية لتاريخ الحركة الوطنية لازال التاريخ الوطني في نسخته القديمة فاعلاً، لأن ثلاثين سنة من التعبئة فعلت فعلها ليس فقط في أذهان العامة من الناس، بل حتى في إدارك النخب خاصة وأن المادة التاريخية المكتوبة أو الإعلامية التي كانت رائجة في عهد بورقية لازالت فاعلة ومستثمرة في الخطاب الإعلامي وحتى المدرسي، رغم تراجع الإحالة الدائمة لشخص الزعيم بورقية وإبراز وجوه وطنية جديدة كانت متروكة في الظل شأن عبد العزيز الثعالبي أو محمود الماطري. وهذا ما يلاحظ مثلاً في صياغة دروس الحركة الوطنية المعتمدة في الكتب المدرسية للابتدائي أو الثانوي الصادرة بعد 1987 حيث حافظت على المنطق السالف ذاته المحيد للفعل التاريخي الشعبي أو المهمّش لدور المنظمات القومية وخاصة النقابية أو الساكت عن دور الأحزاب السياسية الأخرى كالحزب الدستوري القديم مثلاً.

ومهما كان الأمر فإن التاريخ في صيغته البورقيية لازال فاعلاً والقطيعة معه في مستوى الخطاب الرسمي ليست بديهية ولعل ذلك يعود أساساً للثقافة التاريخية للنخب الحاكمة من ناحية ومن ناحية أخرى يجد مبرّره في دوام مركزية حضور الحزب الدستوري (التجمع منذ 1988) في دواليب الدولة والحياة العامة خاصة وإن النصوص المرجعية لذلك

الخطاب التاريخي لازالت سائرة ولم تدحضها مؤلفات جامعة للعلوم. وهنا نعني أساسا ذلك الكم الهائل من خطب بورقيبة⁽¹⁾. وسلسلة تاريخ الحركة الوطنية⁽²⁾ التي أشرف عليها أحد أقطاب الحزب الدستوري آنذاك السيد محمد الصباح. ولعل المشاريع البحثية والمؤلفات التي صدرت أخيرا⁽³⁾ تقوم ذلك التمشي الأعرج.

القراءة الرسمية لتاريخ الحركة الوطنية إذا هي قراءة سياسية للأحداث التاريخية هدفها أساسا إعطاء المشروعية المطلقة للحزب الحر الدستوري الجديد (الاشتراكي في ما بعد) في حكم البلاد كنتيجة منطقية لنضال خاضه لوحده حيث تختزل الحركة الوطنية في تاريخ هذا الحزب ويختزل تاريخ هذا الحزب في تاريخ زعيمه الحبيب بورقيبة. لقد سارت هذه الحركة من الوجهة الرسمية حسب برنامج ضبطت فصوله وأحكمت غاياته وحدد إيقاعه بشكل مسبق من مخرج كبير هو الزعيم بورقيبة. فلا مكان في تاريخ الحركة الوطنية للصدفة ولا للمفاجأة ولا "لألعاب التاريخ" ولا تردد في ضبط المخطط والاستراتيجيات، ولا غلط في تقييم أو تشخيص موازين القوى أو كشف خفايا وحقيقة السياسة الاستعمارية، فعقل الزعيم كان دائما حاضرا ثاقبا مدركا للواقع ولكل خفاياه مقيما للأحداث التقييم السليم وواضعا للمخطط الأنجع ومصححا لأخطاء الرفاق ومرشدا للضالين منهم.

1. طيلة حياته النشطة كان بورقيبة يخطب ويقرن في خطاباته بين الماضي والحاضر لذا اعتمدت هذه الخطب ليس كمرجع بل التاريخ ذاته. وقد نشرت تلك الخطابات في سلسلة تجاوزت ثلاثين جزءا تغطي الفترة 1955-1974 من طرف وزارة الإعلام اضافة لعدة مؤلفات أخرى أهمها "حياتي، أرائي، جهادي". انظر في رؤية بورقيبة لتاريخ الكفاح الوطني مقال الزميل فتحي ليسيير: " تأملات أولية في قراءة بورقيبة لتاريخ الحركة الوطنية " بمجلة روافد، عدد 11 / 2006، ص ص 69 - 103.

2. صدرت سلسلة تاريخ الحركة الوطنية التونسية في 20 جزءا عن دار العمل بين سنتي 1969 و1986 لتغطي الفترة الممتدة بين 1929 إلى 1964 وكان جزؤها الأول " 1933-1929 "Articles de Presse والأخير

"La République délivrée. 2- De l'occupation étrangère. 1959-1964"

3. نعني هنا خاصة الجزء الثالث من سلسلة " تونس عبر التاريخ " بعنوان: "الحركة الوطنية ودولة الاستقلال" من تأليف ثلة من الجامعيين والصادر عن مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية بتونس، 2007 وهو رغم الجهد التجديدي بقيت مقارنته في تقديرنا حبيسة التصور العام المألوف للحركة الوطنية أما الكتاب الآخر فهو بعنوان: " موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (1881 - 1964) " من إنجاز مجموعة من باحثي المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية والصادر عن هذه المؤسسة سنة 2008.

هذه القراءة لا تدرك الحركة الوطنية على أنها فعل مقاوم متعدد القوى بل تختزلها في جهد الحزب الدستوري الجديد لوحده فالقوى الوطنية الأخرى منظمة شأن الحزب الدستوري القديم مثلاً أو مستقلة هي قوى ثانوية أو كانت معرّقة للمسيرة النضالية، وحتى التحركات الجماهيرية تذكر عند الحوادث الكبرى عندما يوقف الزعماء كصورة من المشهد لا كأفعال حاسمة في دفع حركة التاريخ. وتختزل هذه الرؤية الرسمية للحركة الوطنية في أشكال النضال السياسي مهملة الأشكال الأخرى التي لا تقل أهمية وربما حسماً شأن المقاومة المسلّحة والنضال النقابي وتحركات الجمعيات الشبابية (الكشافة مثلاً) والثقافية (الجمعيات المسرحية وغيرها) والصحافة أو النشاط الوطني خارج تونس.

وتتكرس هذه الرؤية الاختزالية لتاريخ الحركة الوطنية وابتسارها عند فعل الحزب البورقيبي وسيرة زعيمه في ضبط رزنامة الأعياد الرسمية التي كانت معتمدة حتى 1987⁽⁴⁾ وضابطة لإيقاع الحياة العامة. كما تطبع هذه النظرة الغازية للتاريخ الفضاء العمومي بتمييز أحداث تاريخ الحزب الدستوري الجديد أو الحوادث التي كان فيها فاعلاً، حيث تسيطر تلك الوقائع وأسماء قيادات الحزب على أسماء الأنهج والشوارع والساحات الهامة في كامل أنحاء البلاد مع تبرع الحبيب بورقيبة دائماً على أهم جادة في أية مدينة أو بلدة من تونس.

ومن شوائب هذه الرؤية التاريخية كثرة مناطق الظل في عرضها لوقائع الكفاح الوطني، حيث تعددت المسائل المسكوت عنها كالتعرض لشخص بورقيبة بالمديح الدائم دون التطرق لحقيقة شخصيته وطبيعة إدارته للأمر كاستبداده بالرأي واعتداده بشخصه إلى درجة عدم تحمل الاختلاف واتخاذ عدة قرارات بصورة فردية دون رجوع إلى دواليب الحزب أو استشارة رفاقه ومن المسكوت عنه في الرؤية الرسمية. كذلك قضايا أخرى كطبيعة المباحثات والمفاهيم السرية التي تمت أثناء مفاوضات الاستقلال الداخلي أو قضية المتعاونين مع الاستعمار والصّبغة التوافقية التي حدّدت مصيرهم بين الطرفين الوطني

4. منها : 18 جانفي : عيد الثورة. بينما المصادمات الدامية بدأت مع الإستعمار سنة 1952 منذ 14 جانفي. و 1 جوان : عيد النصر (تاريخ عودة بورقيبة من المنفى في 1955) بينما امضاء اتفاقيات الاستقلال الداخلي تمّ في 3 جوان. و 3 أوت : عيد ميلاد الرئيس الذي اتخذ في السنوات الأخيرة من حكم بورقيبة بعداً بذخياً وزمناً يطول أكثر من شهر وغني عن القول في ذلك من شخصنة للتاريخ.

والفرنسي. كذلك قضية الخلاف في الصفّ الوطني وحقيقة حسم ذلك الخلاف وتصفية المعارضة اليوسفية أو عدم التبع المجدي لقضية اغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد والعمل على كشف مغتاليه إن كانوا من الفرنسيين أو التونسيين.

هذا التّصير المنهجي والمعرفي وحتى الأخلاقي في الرؤية الرّسمية لتاريخ الحركة الوطنية انبرت عديد الأقلام والأصوات من المناضلين القدامى تدّعي تقويمه. فإلى أي مدى نجحت في رهانها؟

II. الحركة الوطنية في منظور المناضلين

يمكن أن نصنّف هذا النوع من التدخل في الإنتاج التاريخي المتعلق بالحركة الوطنية إلى صنفين: مقارنة المناضل القيادي ومقاربة المناضل القاعدي علاوة على الشكل الذي وردت فيه إن كان كتابة أو كلاما مسجّلا. وهذا الجنس في إنتاج المعرفة التاريخية رغم نقائصه يبقى في تقديرنا هاما وضروريا ولا محيد عنه في إثراء الرصيد المصدري لكتابة تصبواً تكون علمية للتاريخ وذلك لما يتضمنه هذا النوع من تفاصيل تاريخية ومعطيات موضوعية وحتى ذاتية لا نجدها في غيرها من المصادر الأخرى الأرشيفية وسواها ذات "السمة الباردة". وكذلك لثراء ما يمكن أن تقدمه حافظة المناضل من حقائق تجعلها الوثائق الرسمية أو تتجاهلها كالحالة النفسية والمعنوية للمتدخلين في الفعل التاريخي من غضب ورضى وارتياح وخيبة وإحباط وخوف وإقدام وتحفّز للمقاومة أو تردّد وركون للإستسلام. وهذه الجوانب ذات الصلة بالوعي الفردي أو الجمعي كثيرا ما تهمل عند كتابة التاريخ رغم أهميتها في الكشف عن العوامل المحددة للفعل التاريخي.

هذا الإسهام لهذا الجنس من التأريخ لا يجب بداهته أن يحجب عن المؤرخ الحصيف مواطن الضعف فيه لأنّ التاريخ الصادر عن المناضل حتى وإن ادّعى الموضوعية يبقى رهين ذاتية منتجة الذي حتى وإن اجتهد وأحسن النية في استرجاع الوقائع التاريخية كما جدّت فهو يبقى رهين مضاء ووفاء ذاكرته والذاكرة بطبيعتها انتقائية. ثم أن إعادة تركيب تلك الحقائق التاريخية هي أيضا رهينة درجة إدراك المؤلف للأحداث التي شارك في صنعها وإلمامه بالصورة الشاملة ليس فقط للحدث الصغير الذي تحرك ضمنه، بل بالصورة العامة

بكل تشعباتها المحلية والقومية والعالمية. علاوة على العوائق الإيستمولوجية الأخرى في إنتاج معرفة موضوعية للماضي خاصة إذا كان تدخل المناضل في كتابة التاريخ غايته إعادة الإعتبار للذات والثأر من خطاب تاريخي أقصاه أو همّشه أو لتصفية حساب مع قوى سياسية اضطهدته أو غبطته حقه في الاعتراف بدور فعلي أو وهمي في مقاومة الاستعمار، وحرمة من ثمة نضاله في النفاذ للسلطة أو في تحقيق مكاسب⁽⁵⁾.

على كل منذ حكم بورقيبة وخاصة بعد ازاحته أقدم عديد المناضلين على نشر كتب مذكرات أو سير ذاتية وأحيانا محاورات أو مؤلفات تدعي قول الحقيقة التاريخية وتصحيحها حتى وإن لم تصدر كلها عن أشخاص كانوا في علاقة "خصام" مع النظام السابق ودون الإتيان عليها كلها نذكر هنا أهمها. حيث نشرت سنة 1960 دار بوسلامة مذكرات القيادي الدستوري الجديد الطاهر صفر⁽⁶⁾ وفي الجزائر نشر القيادي الدستوري الآخر أحمد توفيق المدني مذكراته⁽⁷⁾ وظهرت كذلك بتونس مذكرات القادة الدستوريين المجدد الدكتور الماطري⁽⁸⁾ وسليمان بن سليمان⁽⁹⁾ ورشيد ادريس⁽¹⁰⁾ وأكبرهم الحبيب بورقيبة⁽¹¹⁾. ومن

5. انظر كأمّودج على هذا الانحراف لدى المناضلين المقالين النقيدين التاليين:
عدنان المنصر، "قراءة في بعض النماذج من المذكرات السياسية التونسية المعاصرة"، روافد، عدد 1 1995. ص 29-38.
- عبد الجليل بوقرة "كيف كتب السياسيون التاريخ؟ قراءة في بعض ما كتب عن بوقية وابن يوسف"، المجلة التاريخية المغربية، العددان 93-94، ماي 1999. ص. 13-26.
6. Tahar SFAR, *Journal d'un exilé, Zarzis 1935*, Tunis, Editions A. Bouslama, 1960.
7. أحمد توفيق المدني، حياة كفاف (مذكرات)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزء الأول 1976، الجزء الثاني 1977، الجزء الثالث 1982.
8. Mahmoud ELMATRI, *Itinéraire d'un militant (1926-1942)*, Tunis, Cérès Productions, 1992.
9. Sliman BEN SLIMAN, *Souvenirs politiques*, Tunis, Cérès Productions, 1989.
10. الرشيد ادريس، من باب سويقة إلى منهاتن، تونس، ابن عبد الله، 1980.
- الرشيد ادريس، من جاكرتة إلى قرطاج، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1985.
- الرشيد ادريس، في طريق الجمهورية، مذكرات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
11. Habib BOURGUIBA, *Ma vie, mon œuvre*, Paris, Plon, 5 volumes (1929-1933 ; 1934-1938 ; 1938-1943 ; 1944-1951 ; 1952-1956), 1985-1986.

الدستور القديم الشاذلي الخالدي (عبد الحق)⁽¹²⁾ ومن الصّف اليوسفي نشر الطاهر عبد الله "الحركة الوطنية التونسية. رؤية شعبية قومية جديدة"⁽¹³⁾ ورئيس الاتحاد العام للفلاحة التونسية الحبيب المولهي "الوطن والصمود"⁽¹⁴⁾، وسجل حسين التريكي العضد الأيمن لصالح بن يوسف مذكراته بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية⁽¹⁵⁾، وصدرت في جوان 2003 محاورات القيادي الشيوعي محمد النافع⁽¹⁶⁾ بعدما نشر سنة 2000 "كان هناك... شاب متمرد"⁽¹⁷⁾، وفي الجناح النقابي للحركة الوطنية صدرت مذكرات مؤسس جامعة عموم العملة التونسية الثانية بلقاسم القناوي⁽¹⁸⁾ والقياديين المؤسسين في الاتحاد العام التونسي للشغل الحبيب عاشور⁽¹⁹⁾ والتوري بودالي⁽²⁰⁾ كذلك أصدر المناضل الدستوري والقيادي الكشفي حامد الزغل كتابا في غاية الأهمية وهو "جيل الثورة. ذكريات مناضل". وأخيرا وليس آخرا نشر المناضل الدستوري، عضو المجلس الملي علي المعاي "ذكريات وخواطر" (2007)⁽²²⁾ وهو عمل ثري وجاد ومن المناضلين المستقلين القيادي الكشفي أيضا

12. ABDELAHAC (Pseudonyme de Chedli KALLADI), *Au temps de la colonisation*, Tome 1.

Des hommes et leurs comportements, Tunis, M.T.E., ; 1989

13. الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية قومية جديدة، سوسة، دار المعارف للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1990.

14. الحبيب المولهي، الوطن والصمود، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1991.

15. يستغرق هذا التسجيل أزيد من 13 ساعة محفوظ بمعهد الحركة الوطنية (منوبة، تونس) عدد 44.

16. صدرت بالمجلة التاريخية المغاربية عدد 111. جوان 2003 في 38 صفحة، ص ص: 561-598.

17. Mohamed ENNAFAA, *Il était une fois... un jeune révolté*, Publisud Maghreb Diffusion, .17 2000.

18. بلقاسم القناوي، مذكرات نقابي وطني، تحقيق وتعليق فريد بن سليمان، تونس، منشورات معهد الحركة الوطنية، 1998.

19. Habib ACHOUR, *Ma vie politique et syndicale, Tome 1 : Enthousiasme et déceptions (1944-* .19 1981), Tunis, Editions Alif, 1989.

20. Nouri BOUDALI, *L'Union Générale Tunisienne de Travail. Souvenirs et récits*, Tunis, Imp .20 Al Asria, 1998.

Etre et durer, Tunis, Im. Al Asria, 1995 -

21. صدر هذا الكتاب بتونس عن دار سيراس للنشر سنة 2001. ويمكن الاطلاع على تقديم نقدي لهذا المؤلف بمجلة روافد عدد 7/2002 بقلم عميرة علي الصغير.

22. علي المعاي، ذكريات وخواطر، نشر المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 2007، 799 صفحة.

وأحد وجوه النخبة الوطنية المغاربية بالشرق العربي عزالدين عزوز الذي صدر له "التاريخ لا يرحم" (بالفرنسية) سنة 1988⁽²³⁾. وفي صف قيادي المقاومة المسلحة حتى وإن لم تكتب مذكرات أو سير ذاتية فقد تم تسجيل حوارات مطوّلة مع العديد منهم ولعل أهمهم الطاهر لسود الذي كان له دور أساسي في حركة "الفلاحة" في طورها الأول (1952 - 1954) وفي طورها الثاني (1955 - 1956) في التحام مع الثورة الجزائرية⁽²⁴⁾.

إضافة للملاحظات العامة التي سبق ذكرها في ما يخص المذكرات والسير الذاتية ومساهمتها في بناء الحقيقة التاريخية نلاحظ هنا أن المادة المتوفرة الصادرة عن المناضلين القيايين هي نصوص مكتوبة ما بعد الأحداث التي تسردها وليست يوميات لذا أتت مستجيبة لطبيعة النص "الموضّب ببرودة" من تخطيط وانسجام في الأفكار وتحديد للغايات وتوضيب للأحداث وتعليقها حسب إدراك المؤلف لتلك الأحداث، لا زمن وقوعها. بل عند كتابة النص وهي عامة تتفاوت في درجة الالتزام بالموضوعية التاريخية من مؤلف لآخر وتتفاوت مصداقيتها حسب درجة وعي الذات من مناضل إلى آخر.

أما في ما يخص مساهمة المناضلين القاعدين فإنه يتوفّر حاليا للمؤرخ في تونس رصيد هام من الشّهادات تهمّ خاصّة المرحلة الأخيرة من مقاومة الاستعمار جمع أغلبها المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية الذي في رصيده حاليا أكثر من 350 تسجيلا⁽²⁵⁾ كذلك بمؤسسة التميمي للبحث العلمي⁽²⁶⁾ أو تساجيل ولقاءات أجراها باحثون في رسائلهم

23. Ezzedine AZZOUZ, *L'Histoire ne pardonne pas, Tunisie : 1938-1969*, Paris -Tunis, L'Harmattan - Dar Ashraf Editions, 1988.

24. شهادة الطاهر لسود مسجلة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية تحت رقم 43 مع الملاحظ أن الأستاذ عبد الحميد العلاني نشر شهادات 101 مقاوم في كتاب عنوانه : لم يناموا على الذل، تونس، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، 2006 .

25. هذه التساجيل بالصوت وبعضها بالصورة والصوت محفوظة بالمعهد ومفتوحة للباحثين.

26. دأبت هذه المؤسسة في إطار "أيام الذاكرة الوطنية" في السنوات الأخيرة على تسجيل عديد الحوارات مع مناضلين وسياسيين أمثال السادة أحمد بن صالح ومحمد النافع ومصطفى الفياللي ومحمد كريم وأحمد الزمني وحسيب بن عمار ومحمد صالح البراطلي وعلي بن سالم والساسي بويحي وغيرهم.

الجامعية⁽²⁷⁾. هذا الكمّ المعبر من الشهادات التي أطلعنا على الكثير منها يمكننا دون جزم من بلورة فكرة عن إدراك الحركة الوطنية لدى هؤلاء الفاعلين الميدانيين للكفاح الوطني. نذكر أولاً إزاء شهود أغلبهم من الأميين خاصّة من بين رجال المقاومة المسلحة والقلة العارفة بحروف الهجاء لم يكن لها تعامل مع النصوص المكتوبة وميزة شهادتهم أنها أتت في روح عفوية وتلقائية رغم حضور الأسئلة الموجهة من المستجوب. ودون أن نعود إلى شائعات السير الذاتية إن كانت مكتوبة أو شفاهية من رغبة في فرض الذات وإعادة الإعتبار وأحياناً السقوط في الترجسية المفرطة وادّعاء البطولة فإن جل الشهادات التي اطلعنا عليها - يغلب عليها الصدق والتواضع. أمّا في مستوى تمثل هذه الشهادات للحركة الوطنية فهي في الغالب ينقصها الإدراك لطابعها الشمولي وترابط مختلف روافدها وفعاليتها كما يغيب عند جل المسجّل لهم الوعي الكامل أو الدقيق بتفاصيل هذه الحركة وتعرّجاتها إن كان من حيث الأحداث أو البرامج والخطط إلا من ندر من العناصر الأكثر تسيّساً، لأنّ جلّ المقاومين كان انتماءهم للوطن قبل الانتماء للأحزاب الوطنيّة أو "للمنظمات القومية" وانخراطهم في المقاومة كان بدافع الحمية الوطنية. وتشوب هذه الشهادات كذلك تشوّهات في استعادة الماضي نتيجة تأثير الحاضر وخاصة فعل الخطاب الإعلامي والدعائي الحزبي (الدستوري أساساً) طيلة حكم بورقيبة لذا بقي تصور المناضلين للحركة الوطنية سجين التّصور العام الذي رسمته لها أجهزة السلطة، مع تدخّل فقط في تصحيح الجزئيات وإضافة صياغة جديدة للتاريخ الصغير أي تاريخ المساهمة الخاصة للمناضل في المقاومة وخاصة التدخل الفعلي في مقارعة الاستعمار شأن رفع السلاح في

27. نذكر هنا خاصة الرسائل التالية :

- عروسية التركي، المقاومة التونسية المسلحة بجهة الأعراض 1952-1954. ش.ك. ب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس، 1989.
- سليم القضيوي، المقاومة الوطنية المسلحة في الأرياف والبادي التونسية في الخمسينات: المخطوط العامة، ش.ك. ب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس، 1990.
- محمد مختار نصري، المقاومة التونسية المسلحة واشكالياتها 1952-1956. أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس، 2002..
- عادل بن يوسف، النخبة العصرية التونسية : طلبة الجامعات الفرنسية، دار الميزان للنشر، 2006.

إطار حركة "الفلاحة" أو المشاركة في عمليات التخريب والتظاهر والإضرابات والإغتيالات والإعتصامات، التي شملت جلّ المدن التونسية خاصة في الخمسينات... وتبرز شهادات المقاومين هؤلاء رغبة ملحة في الاعتراف بدورهم والإقرار بمساهماتهم الفعلية في تحرير البلاد. لذا يمكن اعتبار هذا النوع من التدخل في صياغة تاريخ الحركة الوطنية بالتاريخ الوجودي أو الثأري.

فما هي مكانة المؤرخ الأكاديمي بين حقيقة التاريخ التي يعتقد الحاكم امتلاكها ويتصوّر المناضل تصحيحها؟

III. الحركة الوطنية في التاريخ الأكاديمي

أفرزت البحوث الجامعية المختصة معرفة حقيقية وعميقة وجديّة لتاريخ الحركة الوطنية معرفة ما فتئت تتأكد وترسخ حيث بدأ الاهتمام بهذا الموضوع لدى الجامعيين التونسيين منذ بداية السبعينات تقريبا مع تخرّج الأوائل منهم في الاختصاص. ونحن نقصر اهتمامنا هنا على إنتاج الجامعيين التونسيين فحسب لأن موضوع الحركة الوطنية التونسية استقطب كما هو معلوم إهتمام مؤرخين آخرين فرنسيين وغيرهم.

وتندرج في هذا الجهد أعمال جامعية عديدة من رسائل ختم الدروس إلى أطروحات دكتوراه الدولة نوقشت جلها بالجامعة التونسية أو بالجامعات الفرنسية كذلك أعمال ندوات ومؤتمرات علمية نظمتها أقسام التاريخ بالجامعات وخاصة المؤتمرات الدورية للمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية. وهي أعمال راکمت معرفة تاريخية هامة نحت من العام إلى الخاص ومن الدراسات "الواسعة" إلى البحوث المونوغرافية واكتسبت نضجا ملحوظا في مستوى المنهجية ونوعية الإنتاج المعرفي المقدم الذي أصبح أكثر دقة وعمقا في ارتباط مع تقدم التجربة البحثية، وتوفر أوسع للرصيد المصدري خاصة بانفتاح الأرشيفات المتعلقة بالحركة الوطنية إن كانت ضمن رصيد الأرشيف الوطني (التونسي) أو خاصة أرشيف الإدارة الاستعمارية الفرنسية مدنيّة وعسكرية، والمستنسخ والمحفوظ في جزء كبير منه بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية. هذا إضافة للكم المعبر من الشهادات والسير المسجلة والتي سبقت الإشارة إليها.

ودون الإفاضة في عرض هذه الأعمال نشير إلى أن جل البحوث الجامعية المنجزة في اختصاص التاريخ المعاصر⁽²⁸⁾ تناولت بشكل أو بآخر موضوع الحركة الوطنية ونذكر هنا خاصة أعمال الأساتذة البشير التليلي⁽²⁹⁾ التي تميزت بفتح أفق واسعة في طرح إشكاليات الحركة الوطنية وارتباطاتها وتفاعلاتها مع القوى والتحولت المحلية والجهوية والعالمية، كذلك أعمال مصطفى كريم⁽³⁰⁾ وعلي المحجوبي⁽³¹⁾ وعبد السلام بن حميدة⁽³²⁾ والهادي التيمومي⁽³³⁾

28. سبق للأستاذ محمد الهادي الشريف إن أصدر بمجلة "ابلا" (Ibla) مقالا يتعلق ببحوث ومصادر القرن العشرين التونسي لكن 15 سنة منذ صدور هذا الفصل أعمال كثيرة انجزت ونحن لن نفضل في هستوريغرافيا هذه الحقبة لأن ما يعيننا هي الحركة الوطنية. انظر مقال الشريف في: M.H. CHERIF, « L'Histoire du XXème siècle tunisien . Sources et études », *Ibla*, 1987, t- 50, n.°159 p11-114.

29. أنظر:

Bécher TLILI, *Nationalismes, Socialisme et Syndicalisme dans le Maghreb des années (1919-1934)*, 2 tomes, Pub. de l'Université de Tunis, 1984.

30. تميز الأستاذ مصطفى كريم بغزارة انتاجه اذ نشر أكثر من 7 كتب وما يزيد عن 40 دراسة تتعلق بالحركة الوطنية التونسية وخاصة في جناحها العمالي ونذكر هنا خاصة:

.M. KRAIEM, - *Nationalisme et syndicalisme en Tunisie. 1919-1929*, Imp. de l'U.G.T.T., Tunis, 1976.

.*La classe ouvrière tunisienne et la lutte de libération nationale. 1939-1952*, Imp. de l'U.G.T.T., 1980.

.*Le Parti communiste tunisien pendant la période coloniale*, Pub. de l'I.S.H.M.N., Tunis

31. خاصة:

A.MAHJOURI ; - *Les origines du mouvement national en Tunisie 1904-1934*, Pub. de l'Univ. de Tunis, 1982.

.*L'Etablissement du protectorat français en Tunisie*, Pub. de l'Univ. de Tunis, 1977.

32. عبد السلام بن حميدة، الحركة النقابية الوطنية للشغيلة بتونس (1924-1956) صفاقس، دار محمد علي الحامي، جزءان، 1984.

A. BEN HAMIDA, *Capitalisme et syndicalisme en Tunisie de 1924 à 1956*, Pub. de l'Univ. de Tunis, 2003.

33. الهادي التيمومي، انتفاضات الفلاحين في تاريخ تونس المعاصر، مثال 1906. بيت الحكمة، قرطاج-تونس، 1993.

- الاستعمار الرأسمالي والتشكيلات الاجتماعية ما قبل الرأسمالية: الكادحون "الخماسة" في الأرياف التونسية. 1861-1943. تونس، دار محمد علي الحامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 1998-1999.

ونور الدين الدقي⁽³⁴⁾ وتوفيق العيادي⁽³⁵⁾ ورؤوف حمزة⁽³⁶⁾ والحبيب القزدغلي⁽³⁷⁾ والتليلي العجيلي⁽³⁸⁾ والكراي القسنطيني⁽³⁹⁾. وفتحي ليسيير⁽⁴⁰⁾ والمختار العياشي⁽⁴¹⁾ وحفيظ الطبابي⁽⁴²⁾ ومحمد ضيف الله⁽⁴³⁾ وعدنان المنصر⁽⁴⁴⁾

34. نور الدين الدقي، حركة الشباب التونسي، نشر معهد تاريخ الحركة الوطنية، 1999.
35. Taoufik AYADI, *Mouvement réformiste et mouvements populaires à Tunis (1906-1912)*, 35. Pub. de l'Univ. de Tunis, 1986.
36. Raouf HAMZA, *Communisme et nationalisme en Tunisie de la "Libération" à l'indépendance (1943-1956)*, Pub. de l'Univ. de Tunis, 1994.
- وقد تميز الأستاذ حمزة بعمق الطرح في مقالاته واثارته لعدة إشكاليات منهجية ومعرفية تهم الحركة الوطنية يصعب استحضارها هنا لضيق المجال.
37. حبيب القزدغلي، تطور الحركة الشيوعية بتونس، نشر كلية الآداب بمنوبة، 1992.
38. التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، نشر كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992.
39. خاصة دراستيه :
- "أزمة ما بعد الحرب أم تأزم إجتماعي : الفقراء بتونس (1949)" بأعمال الندوة الخامسة، نشر المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 1999، ص 76-97.
- الثواب والتجديد في الفكر الإصلاحي غداة خروج المحور من تونس (ماي-ديسمبر 1943) بأعمال الندوة الرابعة، نشر معهد الحركة الوطنية، ص. 67-114.
40. ليسيير فتحي :
- قبائل أقصى الجنوب التونسي تحت الإدارة العسكرية التونسية : بنج ورنمة نموذجاً (1881-1939)، زغوان، منشورات مؤسسة التميمي، 1998.
- من الصلعة الشريفة إلى البطولة الوطنية، دراسة في سير بعض المستبشرين من تاريخ تونس المعاصر، تونس، ميدياكوم، 1999.
41. المختار العياشي، البيئة الزيتونية (1881-1956) تعريب حمادي الساحلي، دار تركي للنشر، تونس 1990.
- M. AYACHI, *L'Union Générale des Etudiants de Tunisie, au cours des années 50/60*, pub. - de l'ISHMN, Tunis, 2003.
42. حفيظ الطبابي، الحرب الدستوري القديم، ش ك ب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس، 1985-1986.
43. محمد ضيف الله : الحركة الطالبية التونسية (1927-1939)، زغوان، منشورات مؤسسة التميمي، 1999.
- الدرج والكروسي، بحوث حول الطلبة التونسيين بين الخمسينات والسبعينات، صفاقس، مكتبة علاء الدين، 2003.
44. عدنان المنصر، استراتيجيا الهيمنة، الحماية الفرنسية ومؤسسات الدولة التونسية، صفاقس، دار محمد علي للنشر، 2003.

وعميرة عليّة الصغير⁽⁴⁵⁾ وغيرهم من الجامعيين الذين لا تقلّ بحوثهم قيمة ولا إفادة والذين لم نذكرهم هنا لضيق المجال.

ومن حيث المؤسسات الجامعية تمثل مساهمة المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية الذي بعث سنة 1989 أساسا لغرض البحث في هذه الحركة إضافة أساسية في هذا الاختصاص حيث نظّم إلى حدّ الآن (لأنه واصل ما بدأه البرنامج الوطني للبحث P.N.R منذ 1981) ثلاثة عشرة ندوة دولية غطّت مختلف مراحل الحركة الوطنية تقريبا⁽⁴⁶⁾. وقدمت فيها 266 دراسة نشرت كلها (أعمال الندوة 13 تحت الطبع) إضافة لأعمال الأيام الدّراسية والبحوث التي صدرت في مجلة المعهد "روافد" والتي صدر منها إلى حدّ الآن إحدى عشرة عددا ضمّت 132 دراسة تتعلق بالحركة الوطنية التونسية وخصّصت لها الملقّات التالية : واقع وآفاق كتابة تاريخ الحركة الوطنية، مقاومة الإستعمار : الأشكال والأبعاد، المنصّيّة، الرأى العام المغاربي والمتغيّرات الدولية في بدايات القرن العشرين، عبد العزيز الثعالبي، الطاهر الحداد،

45. عميرة عليّة الصغير، المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات، صفاقس، مطبعة التسفير الفني، 2004.

- عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرر المغرب العربي، تونس، المغاربية للطباعة والنشر، 2007.
46. وهي الندوات التالية :

1. ردود الفعل على الإحتلال الفرنسي للبلاد التونسية 1881 (ماي 1981).
2. مصادر تاريخ الحركة الوطنية التونسية ومناهجه 1920-1954 (ماي 1987).
3. الحركات السياسية والإجتماعية بالبلاد التونسية خلال الثلاثينات (ماي 1965).
4. البلاد التونسية من سنة 1939 إلى سنة 1949 (جوان 1987).
5. البلاد التونسية خلال فترة ما بعد الحرب (1945-1950) (ماي 1989).
6. البلاد التونسية سنتي 1950 و 1951 (ديسمبر 1991).
7. المقاومة المسلحة بتونس في القرنين التاسع عشر والعشرين (نوفمبر 1993).
8. التاريخ الشفوي والعلاقات التونسية الفرنسية بين سنتي 1945 و 1962 (ماي 1996).
9. تصفية الإستعمار بتونس : الأطوار والأبعاد (1952-1964) (ماي 1996).
10. المغرب العربي في العشرينات (ماي 2000).
11. حول الزيتونة : الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي (ماي 2002).
12. الجنوب التونسي : من الإحتلال إلى الاستقلال (ماي 2004).
13. استقلال تونس ومسيرة التحرر من الاستعمار (ماي 2006) .

دور الحركة الطلابية في المقاومة الوطنية، حشاد وعصره، الحركة الكشفية التونسية، الهادي شاكر والاعتقال السياسي، الجنوب الغربي التونسي، الشمال الغربي زمن الاستعمار. وتمثّل نشرية المعهد الأخرى "وثائق" الصادرة منذ 1984 عن وحدة الدراسات والبحوث الأرشيفية والتي صدر منها حتى الآن 26 عددا مساهمة جدية في الدفع بكتابة موثقة ورسنية لتاريخ الحركة الوطنية لما تنشره دوريا من وثائق ومداخل ببيولوجرافية أو توطئات لمواضيع معينة متعلقة باهتمامات الباحثين في تاريخ تونس المعاصر عامة. ومن المباحث والملفات التي أثارها "وثائق" نذكر : أزمة 1933-1934، التوتيس البيوغرافية، الحرب العالمية الثانية، أحداث أفريل 1938، أزمة 1924-1925، الحدود، عبد العزيز الثعالبي، نوتيسات القبائل، عناصر لكتابة التاريخ الثقافي في تونس (1945-1955)، بين التاريخ الثقافي والتاريخ السياسي : البلاد التونسية في العشرينات، التقسيم الزمني والتحقيب في تاريخ الحركة الوطنية التونسية وهو موضوع آخر أعداد هذه النشيرة.

هذا الإنتاج المعرفي التاريخي ساهمت فيه مؤسسات جامعية أخرى نشرت أعمالها في الدوريات المختصة كمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس "الكراسات التونسية" التي قدمت حتى عددها 166 لسنة 1993 في مبحث الحركة الوطنية 12 دراسة. ومجلة مركز البحوث الاقتصادية والاجتماعية بتونس (C.E.R.E.S) التي أصدرت بدورها بين 1964 و1997 ثلاثة وثلاثين دراسة تتعلق بالحركة الوطنية التونسية⁽⁴⁷⁾. كذلك مجلة معهد الآداب الجميلة العربية (Ibla) التي احتوت أعدادها الصادرة بين 1937 و 1996 مجموع 12 مقالا في موضوع الحركة الوطنية، وننوه هنا منها خاصة بمقالي أندري ديميرسمان حول فكرة الوطن وتكوّن الوعي الوطني في تونس⁽⁴⁸⁾. كما ساهمت مؤسسة التميمي للبحث

47. خاصة العدد 72-75 (1983) الذي نشر أعمال مؤتمر تاريخي حول الإستعمار وتصفيته والعدد 5 لسنة 1992 (السلسلة التاريخية) الذي نشر أعمال المؤتمر حول النخب والسلطة في العالم العربي في الحقبين الحديثة والمعاصرة والعدد 2 في السلسلة (علم الاجتماع) 1975 الذي يحتوي أعمال الندوة التي نظمت بتونس سنة 1974 حول الهوية الثقافية والوعي الوطني في تونس.

48. André DEMEERSMAN :

.Formulation de l'idée de patrie en Tunisie (1837-1872), *Ibla*, 1986, p. 109-142

.Genèse de la formation de la conscience nationale en Tunisie, *Ibla*, 1986, p. 219-243

العلمي في الجهود البحثي في تاريخ الحركة الوطنية حيث نشرت أعمال خمس مؤتمرات في الموضوع⁽⁴⁹⁾ وصدر بمجلة المؤسسة "المجلة التاريخية المغاربية" منذ تأسيسها سنة 1974 حتى عددها 92 (1998) مجموع 104 دراسة في الحركة الوطنية التونسية.

لكن رغم هذا الكم الهائل من الدراسات في تاريخ الحركة الوطنية فإنها لاتزال تتسم بالتفتت البحثي إذ لم يؤلف إلى حد الآن كتاب جامع يستوفي كل جوانب الحركة هذا إذا استثنينا كتاب أحمد القصاب "تاريخ تونس المعاصر"⁽⁵⁰⁾، الذي كتب حسب رأينا من غير مختص وعلى عجل ولم يخرج عن النظرة الرسمية السائدة للحركة الوطنية تحت بورقية. ولعل كتابي "الحركة الوطنية ودولة الاستقلال" و"موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية" الآنف ذكرهما يسدان بعض الفراغ في هذا المبحث.

والأهم في تقييم هذا الإنتاج التاريخي في اعتقادنا، هو أنه إذا استثنينا بعض الدراسات التي تناولت بعض الجوانب المنهجية والمفاهيمية المتعلقة بالحركة الوطنية التونسية⁽⁵¹⁾، فإنه

49. وهي :

- أعمال المؤتمر حول : منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية المغاربية، زغوان، م ت ب ع، 1998.
- أعمال المؤتمر الثاني : الثقافات والوعي الوطني في العالم العربي المعاصر، زغوان، م ت ب ع، 1999.
- أعمال المؤتمر الأول حول : الحبيب بورقية وإنشاء الدولة الوطنية، زغوان، م ت ب ع، 2000.
- أعمال المؤتمر الثاني حول : بورقية والبورقييون وبناء الدولة الوطنية، زغوان، م ت ب ع، 2001.
- أعمال المؤتمر الأول حول : فرحات حشاد، الحركة العمالية والنضال الوطني، زغوان، م ت ب ع، 2002.
- 50. أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر، تونس، الدار التونسية للنشر، 1986.
- 51. نلّمح هنا خاصة للمقالات التالية :
- البشير التليلي "عناصر لدراسة الحركة الوطنية التونسية (1934-1954)" أعمال الندوة الثانية لتاريخ الحركة الوطنية، نشر المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 1991، ص. 25-72.
- عبد السلام بن حميدة "بعض المشاكل التي يطرحها تاريخ العلاقات بين الحركة النقابية والحركة الوطنية (1944-1956)، نفس المصدر، ص 189-208.
- المنصف الدلاجي، "تقسيم الفترات التاريخية"، نفس المصدر، ص. 439-444. وفي كراسات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية :
- توفيق البشروش، "القومية القطرية في تونس قبيل الحماية" كراسات CERES عدد 4، 1978.
- خليفة شاطر، "بروز الهوية القومية في تونس" نفس المصدر.
- وفي مجلة المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية "رواد" العدد الأول 1995 ملف : واقع وآفاق كتابة تاريخ الحركة الوطنية، ومن ضمنه مقال رؤوف حمزة : "التاريخ الوطني والتاريخ الإستعماري : الوجه والقفأ" ص 39-53.

لا زال هذا البحث في حاجة لتحديد المفاهيم وضبطها ووضع العلامات الحادّة لحقل الحركة الوطنية من حيث الزمن ومن حيث الوقائع. فمن المفاهيم والمصطلحات التي لازالت في حاجة إلى الضبط والكشف عن دلالاتها في الخطاب السياسي الوطني التونسي مثلا مفاهيم : الوطن، الأمة، الشعب، القوم، الهوية التونسية، الوطنية، القومية، المغاربية، الإسلامية، الدستورية، الديمقراطية، الإصلاح، السيادة، الإستقلال، الحرية، التحرر، الحزب، الحركة، الثورة، المقاومة، المقاوم، المناضل، المجاهد، الفلاق، النقابي، المتعاون، الخائن، "القواد"... كذلك في رأينا إنّ تاريخ الحركة الوطنية في حاجة لضبط مجاله الزمني والإجابة عن إستفهامات من قبيل متى بدأت هذه الحركة ؟ أمنذ خير الدين التونسي وتجربته في الإصلاح والمحد من التغلغل الإستعماري ؟ أمنذ احتلال البلاد وهبة العروش والقبائل وغيرهم لمقاومة الغازي ؟ أو منذ بداية تبلور وعي النخبة وتعبيرها عن ذاتها وانتقادها للسياسة الإستعمارية بظهور الصحف شأن "الحاضرة" (1888) وتأسيس الجمعيات شأن "المخلدونية" (1896) أو "جمعية قدماء الصادقية" (1905) ؟ أم منذ تنظّم هذه النخبة في نادي "الشباب التونسي" وإصدار جريدتهم "التونسي" (1907) (Le Tunisien) ؟ أو فقط منذ تكوّن الحزب الحر الدستوري التونسي (1920) ؟... ثم لماذا الحركة الوطنية تقف باستقلال البلاد سنة 1956 أو بالجلاء العسكري عن بنزرت سنة 1963 أو بتأميم ما تبقى من أراضي المعمرين سنة 1964 ؟ ولما لا تتواصل هذه الحركة بعد إنجاز تلك المهام وتطرح عليها رهانات أخرى ؟

ثم إنّ موضوع الحركة الوطنية في حدّ ذاته يتطلب الضبط. لماذا يميّز العمل السياسي عن بقية أشكال الفعل المقاوم والمتصادم مع الإستعمار ؟ بينما الدّفع بحركة التاريخ كما نعلم هو نتاج أفعال مركّبة وبصعب فعلا تقدير فاعلية وتأثير أي عمل مقاوم لوجوده في مجرى الأحداث. فمن الذي يستطيع مثلا أن يحسم القول في أنّ إضرابا عمّاليا ما أو عملية استهداف لضيعة معمر أو اغتيال عميل هي أقلّ تأثيرا في استراتيجية القوى المتصادمة (الإستعمار والجانب الوطني) من إجتماع وحتى مؤتمر لحزب سياسي ؟ لذا في رأينا يتوجّب مراجعة إدراك العمل الوطني نحو منظور أوسع ليشمل كلّ الأفعال الفرديّة والجماعيّة المنظمة والعفويّة، الحزبيّة والمستقلّة، النقابية والسياسية والثقافية والإعلامية والتلمذية والطلائية والكشفيّة، الحضريّة والريفية، السلميّة والعنيفة، إن كانت هذه الأفعال داخل الوطن أم من خارجه. ثم أن الحركة الوطنية هي أصلا حركة صراع وبالتالي في علاقة جدليّة مع

الخصم وفي علاقة تأثير وخاصة تأثر لذا لا مناص عند دراسة الحركة الوطنية من دراسة الشق الآخر من وحدة التناقض، أي القوى الإستعمارية ونعني هنا فرنسا المتربول وفرنسا السُّلط الإستعمارية الحاكمة للبلاد، كذلك القوى الإستعمارية المدنية الأخرى إن كانت أحزابا أو جمعيات أو نقابات أو قوى ضغط من صحافة وسواها⁽⁵²⁾. يكفي التذكير هنا مثلا بمؤثرات الأحزاب الكليانية في الحزب الدستوري الجديد الناشئ سنة 1934 من حيث التنظيم والتجديد والتحرك أو مؤثرات قنوات التثقيف والتّعليم الفرنسية في وعي النخبة ورؤيتها للعالم.

كذلك من مواطن الضعف في التمشي الحالي لتأريخ الحركة الوطنية التونسية هي سمة التّوقع على الوطني (التونسي) دون وعي فعلي وترجمة عملية لإدراك أنّ الحركات الوطنية في بلدان المغرب العربي الثلاث لم تسر مترامنة ومتوازنة، بل أنّها كانت تتفاعل في ما بينها تأثيرا وتأثرا وإنّ التّواصل بينها لم ينقطع طيلة الكفاح الوطني، وإن جذورها ليست فقط في بيئتها الخاصة بل في البيئة المغاربية عامّة. لذا يتوجّب في نظرنا إيلاء المقاربات ذات البعد المغاربي الشامل للكفاح الوطني الجهد الضروري، ليس فقط لمردودية بحثية وإستمولوجية، بل كذلك خدمة لمصلحة التقارب بين الشعوب المغرّبية، لأنّ التاريخ كما هو معلوم يكوّن الوعي بالذات وينحت المواطن الذي نريده والوطن الذي نبغيه.

52. من جانبنا وبكل تواضع دأبنا منذ أنّ ناقشنا أطروحتنا سنة 1992 بعنوان:

(1946 – 1943) *La Droite française en Tunisie entre* والتي صدرت عن معهد تاريخ الحركة الوطنية سنة 2004 على الوفاء لهذا التمشي وأصدرنا مجموعة من الدراسات تناولت القوى اليمينية الفرنسية في تونس نشاطا وقيادات نذكر منها :

”- Les groupements politique français de droite en Tunisie et la décolonisation (1954 – 1956), in” - Actes du colloque : *Processus et en jeux de la décolonisation en Tunisie (1952 -1964)*, pub. de l’I.S.H.M.N,1999

”- Synopsis des principaux groupements politiques français de droite en Tunisie au temps de la “- colonisation “, in *Les Cahiers de Tunisie*, n° 180, 2002

”- Biographies des principaux chefs de la droite française en Tunisie pendant la période coloniale” - “ in *Les Cahiers de Tunisie*, n° 193 -194,2005

وفي هذا المنحى تندرج أعمال القليلين من الزملاء الباحثين نذكر أعمال الأستاذ حبيب القردغلي حول الجاليات الأوروبية (يهود، روس، يونانيون...) ولطفي الشابي حول الاشتراكيين الفرنسيين بتونس.

خاتمة:

في اعتقادنا لا زال جهد البحث في تاريخ الحركة الوطنية التونسية طويلا ولعله يفيض نحوتمشّ أشمل ليندرج في خانة تاريخ تونس المعاصر متخلّصا لا فقط من تلك العوائق البحثية و الابستمولوجية التي ذكرنا، بل بتفكيك الخطاب السائد وتخطيه خاصة متحرّرا من رهبة الرّقابة الفعلية أو المفتعلة، ومكتسحا المجالات المغلقة وواضعا الأسئلة المجادّة المؤدّية ضرورة لمعرفة تاريخية أرقى بالماضي ومن ثمّة إدراك أسلم وقدرة فاعلة لاقتحام المستقبل.